

هجرة الكفاءات بالمغرب بين الأسباب والسياسات

د. بلال أقتين

باحث في العلوم السياسية - المغرب

مقدمة

تحتل ظاهرة الهجرة صدارة الاهتمامات الدولية والوطنية لاسيما في ظل التحولات الراهنة والتوجه المتزايد نحو العولمة، وهو ما ساهم بشكل كبير في بروز أنواع جديدة لهذه الظاهرة منها هجرة الكفاءات او هجرة العقول او هجرة الادمغة ، حيث عانت بلدان العالم الثالث من هذا النوع من الهجرة خلال القرن العشرين وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية. إلا أن "نزيف العقول brain drain" لم يلق اهتماماً دولياً كبيراً إلا في نهاية الستينيات والسبعينيات الأولى بعد أن بدأت بلدان غربية مصنعة، كإنجلترا، تفقد بعض كفاءاتها لدول غربية أخرى في حال اقتصادي أفضل (باجواتي و بارنجتون، بالإنجليزية، 1976، 3)

وتشكل هجرة العقول إلى خارج أوطانها هاجساً مخيفاً للحكومات والمنظمات على حد سواء. وتكتسب هذه الظاهرة أهمية متزايدة في ظل تزايد أعداد المهاجرين خاصة من الكوادر العلمية المتخصصة، لما لها من آثار سلبية تتمثل في حرمان هذه الدول من الاستفادة من خبرات ومؤهلات هذه الكفاءات لتؤثر سلباً على تطور الاقتصاد القومي وعلى التركيب الهيكلي للسكان والقوى البشرية.

والمغرب ايضا يعاني من ظاهرة هجرة الكفاءات المغربية إلى الخارج، ما دفع بعدد من المؤسسات العمومية والقطاع الخاص إلى التحرك لمواجهة النزيف في فئة الشباب المغاربة ذوي الشهادات في مجالات مطلوبة بشكل كبير .

المحور الاول :هجرة الأدمغة أو هجرة الكفاءات

لا شك أن هذا المصطلح كان ولا زال حديث العام والخاص، كما أن له صدى كبير سواء على المستوى الأكاديمي العلمي أم على المستوى الشعبي والسياسي .فهجرة ذوي الشهادات والكفاءات العليا إلى خارج بلدانهم كانت السمة البارزة بداية من القرن 20 وهي منتشرة بشكل كثيف في الوقت الحالي.

ومصطلح هجرة العقول أو نزيف الأدمغة " **brain drain** " هو اصطلاح ابتدعه البريطانيون لوصف خسائرهم التي ترتبت عن هجرة الكثير منهم وخاصة الأطباء والعلماء والمهندسين وغيرهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

ويعني نزيف الأدمغة كل حركة أو انتقال أو نزوح لأشخاص ذوي مهارات وشهادات تفوق أو تقارب الطور الثالث التعليمي أو الطور الجامعي .بمعنى انتقال ذوي الشهادات الجامعية للإقامة أو العمل أو اللجوء إلى دول أخرى غير الدولة التي ولد فيها.

ويشمل ذلك هجرة الأكاديميين والأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات وغيرهم من الكفاءات في جميع التخصصات العلمية والهندسية والطبية والفنية .ويمكن أن يشمل كذلك على الفنانين والشعراء والخطباء والكتاب والمؤرخين والمحامين والرياضيين والموسيقيين والمسرحيين وكل القطاعات التي تعتمد على الابتكار والموهبة والإبداع.

وقد كان لهجرة الأدمغة بالغ الأثر على دول الأصل ودول المقصد على حد سواء .ذلك أن الكثيرين وطيلة عقود خلت اعتبروها حالة مرضية تصيب اقتصاديات الدول المرسله، خاصة وأن هذا العنصر البشري يعتبر أعلى ما تملك .كما أنها أنفقت الكثير من الأموال والجهود من أجل تأهيله وتدريبه، لتستفيد منه دول أخرى لم تدخر أي جهد في ذلك .لذلك وجدنا الكثير من دول العالم النامي وخاصة الدول التي تعرف نزيفا حادا، تحتج وتطالب بالاستفادة من خبرائها ولو عبر مساعدات مادية واقتصادية، كما اقترح بعض الاقتصاديين والخبراء الدوليين

فرض " رسوم هجرة " على الدول المستفيدة .حتى أن منظمة دولية كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم " يونسكو " اعتبرت أن هجرة العقول هي نوع شاذ من أنواع التبادل العلمي بين الدول، يتسم بالتدفق في اتجاه واحد (أي نحو الدول المتقدمة) أو ما يعرف بالنقل العكسي للتكنولوجيا¹⁸⁸.

وتكمن الدوافع الأساسية وراء هجرة الأدمغة في الدخل الأعلى وظروف العمل الأفضل وآفاق الترقية المهنية المتوفرة في البلد المضيف، وفي سياسات الهجرة الانتقائية التي تتبعها البلدان المضيفة، والأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة في البلد الأم، وانخفاض تكاليف الهجرة . وما فتئت هجرة الأدمغة تتصاعد بشكل مطلق في جميع أنحاء العالم . فقد ارتفع عدد المهاجرين ذوي المهارات العالية عبر العالم من 16.4 مليون في عام 1990 إلى 26.2 مليون في عام 2000

والملاحظ في بعض الدول ومنها بعض الدول الإفريقية الفرنكفونية ودول أخرى، أن أكثر من نصف المواطنين من ذوي الشهادات يغادرون إلى دول مجاورة أو دول أوروبية .وخاصة في القطاعات الحساسة كالصحة والهندسة¹⁸⁹ .وما شجع ذلك هي السياسات الانتقائية التي تنتهجها الدول المستقبلة للمهاجرين، وهي في غالب الأحوال تشجع هجرة ذوي الشهادات والكفاءات العالية بشكل ملفت عبر إجراءات تشجيعية فيما يخصها، والتضييق على ذوي المستويات التعليمية المتواضعة .لذلك نجد أن المهاجرين ذوي المهارات العالية يمثلون حوالي ربع مجموع عدد المهاجرين من أقل البلدان نمواً . ويفوق هذا العدد بأحد عشر ضعفا نسبتهم من مجموع القوة العاملة في هذه البلدان وقدرها 2.3 بالمائة.ومن الآثار السلبية التي من الممكن أن تسببها الهجرة وخاصة هجرة الكفاءات¹⁹⁰ :

المطبوعات ديوان .العودة وحلم الغربية واقع بين المهاجرة الكفاءات المخادمي، رزيق القادر عبد 188 21، ص، 2010 الجزائر، الجامعية،

189 F. Gubert et T. Giordano .**Gouvernance Mondiale Et Migrations internationales et développement : un tournant ?**. Institut du développement durable et des relations internationales– Paris France. Synthèses N° 02/2006.

190 تقرير أقل البلدان نمواً 2012 ، تسخير التحويلات المالية ومعارف المغتربين لبناء القدرات الإنتاجية . مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، الأمم المتحدة نيويورك، 2012 ،ص:17-25

- 1- تؤدي هجرة الأدمغة إلى انخفاض في رصيد رأس المال البشري وفي المؤثرات الخارجية التي يوفرها الأشخاص ذوو المهارات العالية . وقد يؤدي هذا إلى انخفاض معدل النمو الاقتصادي ونمو الإنتاجية، إلى جانب تراجع النشاط في مجالات العلم والتكنولوجيا والابتكار .
- 2- تكون هجرة الأدمغة حادة بشكل خاص في بعض القطاعات ولا سيما الصحة والتعليم والبحث العلمي . فأقل البلدان نمواً تشكل مجموعة البلدان التي تسجل أقل عدد للأطباء بالنسبة لعدد السكان، ولكن معدلات هجرة الأدمغة الطبية منها هي الأعلى في العالم . ويرتبط ذلك عادة بارتفاع معدلات وفيات الرضع والأطفال وتدني معدلات التطعيم وضعف خدمات الرعاية الصحية عموم أ وحالة أنظمة الصحة الوطنية.
- 3- بسبب هجرة الأدمغة، تفقد حكومات أقل البلدان نمواً الضرائب التي كان هؤلاء المهنيون والخبراء سيدفعونها لو بقوا في بلدانهم الأم وعملوا فيها .
- 4- يؤدي تقلص قاعدة رأس المال البشري ذي المهارات، نتيجة للهجرة إلى تحويل مقدرات أقل البلدان نمواً وما لديها من ميزة نسبية بعيداً عن القطاعات التي تتطلب مهارات كثيفة نحو أنشطة تتطلب مهارات قليلة، وربما نحو استغلال سيء للموارد الطبيعية.
- 5- يشغل بعض المهاجرين ذوي المهارات العالية من أقل البلدان نمواً وظائف تتطلب مؤهلات تعليمية أقل مما حصلوا عليه من تدريب.
- وتستنتج العديد من التوجهات الحديثة أنه يمكن تحويل ما يسمى بهجرة الأدمغة **Brain Drain** إلى ما أصبح يطلق عليه بكسب الأدمغة **Brain Gain** " فالمعارف والخبرات الإضافية التي اكتسبها المهاجرون في الخارج ممكن الاستفادة منها وتحويلها لصالح دولهم الأصلية . كما يمكنهم المساهمة في دفع العجلة الاقتصادية وتطوير البنى التحتية ونقل التكنولوجيا والمعارف العلمية ويمكن تبيان ذلك كما يلي:
- 1- هناك من يحتاج بأن آفاق الهجرة إلى الخارج قد تشجع الناس على مواصلة التعليم حتى مراحل متقدمة، مما قد يؤدي إلى اكتساب الأدمغة، أي مقدرات أكبر من رأس المال البشري؛
- 2- تُستخدم بعض التحويلات المالية لدفع أقساط تعليم أفراد الأسرة، مما يؤدي إلى اكتساب الأدمغة؛

3- يشكل المغتربون ذوو المهارات خزاناً من المعارف يمكن تنظيمه في شكل شبكات من معارف المغتربين، الأمر الذي ييسر تدفق المعارف والتكنولوجيا إلى البلدان الأم . وتحدث هذه التدفقات عبر برامج ومبادرات تطلقها منظمات المغتربين ومنظمات دولية وحكومات البلدان الأم والبلدان المضيفة؛

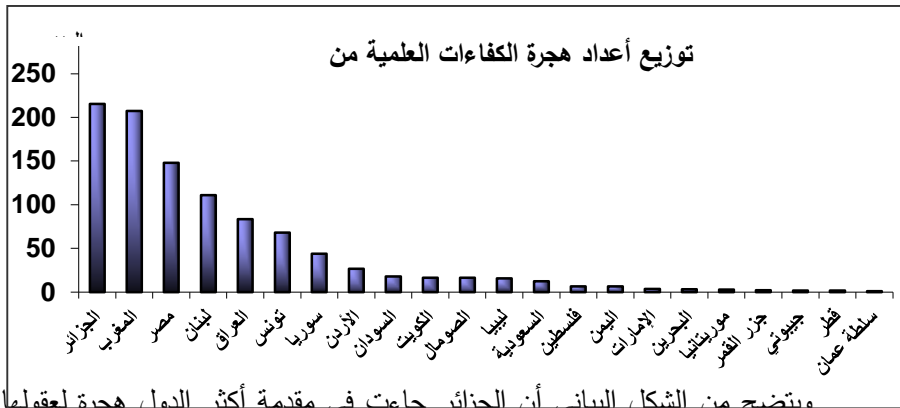
4- من شأن وجود المغتربين أن يقوي تدفقات مشاريع الأعمال بين البلدان المضيفة والبلدان الأم عن طريق روابط التجارة والاستثمار . ففي أقل البلدان نمواً، كان المغتربون الدافع وراء نمو تجارة السلع الآتية من البلدان الأم فيما يسمى " تجارة الحنين " ، أي أن السلع تُصدّر لكي يستهلكها المغتربون ولكنها يمكن أن تنتشر فتلج أسواقاً أكبر . وقد أعطى المغتربون من أقل البلدان نمواً دفعة قوية أيضاً لزيادة صادرات خدمات السياحة عن طريق زيارة البلدان الأم أو المساعدة في اجتذاب السياح إليها .

إلا أن الاستفادة من مساهمة المغتربين لا تكون تلقائية . فهذه الاستفادة مرهونة بتوفر مجموعة من الشروط المؤسسية والاقتصادية والسياسية لا تزال منعدمة في أغلب البلدان النامية . ولذلك، فإن اتخاذ البلدان الأم والبلدان المضيفة والمجتمع الدولي تدابير سياسية، هو أمر حاسم في تشجيع أو تقوية الآثار الإيجابية التي قد تترتب على مساهمة المغتربين في التنمية الوطنية أكثر بكثير مما حدث في السابق ولا تزال أكثر حكومات البلدان النامية في المراحل الأولى من تحقيق هذه الإمكانيات.

المحور الثاني- ظاهرة هجرة العقول من الدول العربية.. مؤشرات ودلالات رقمية:

تعتبر منظمة اليونسكو أن هجرة العقول أو الكفاءات "شكل من أشكال التعاون والتبادل العلمي الشاذ أو غير السليم بين الدول"، باعتباره يعني تدفق هجرة العلماء في اتجاه واحد نحو الدول المتقدمة، فيما تميز منظمة التعاون والتنمية الدولية بين مفهوم "تبادل العقول" ومفهوم "إهدار العقول"، على اعتبار أن "تبادل العقول" أمر طبيعي ناجم عن تفاعل الحضارات وحوار الثقافات، وربما لهذا السبب دافع البعض عن هجرة الكفاءات باعتبارها تؤدي إلى تأمين المليارات من العملة الصعبة للبلدان الأصلية للمهاجرين وتسهم في تحسين الوضع الاجتماعي،

إلا أن تعدد النواحي السلبية لظاهرة هجرة الكفاءات وعلى رأس ذلك توسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة جعل النظر إلى تلك الظاهرة يتركز . في الغالب . على تأثيراتها السلبية¹⁹¹. ويمكن الوقوف على بعض الإحصائيات والمؤشرات الصادرة عن المؤسسات والجهات الرسمية، والتي تؤكد حقيقة خطورة هذه الظاهرة، فقد أشارت دراسة صادرة عن إدارة السياسات السكانية والهجرة بجامعة الدول العربية خلال السنوات الأخيرة إلى أن مجموع عدد الكفاءات العلمية العربية في الخارج يصل إلى مليون و 91 ألفاً و 282 كفاءة علمية، وكشفت الدراسة عن إحصائية تفصيلية لتوزيع نسب وهجرة الأدمغة والكفاءات العلمية من الدول العربية، على النحو التالي¹⁹²:



ويتضح من الشكل البياني أن الجزائر جاءت في مقدمة أكثر الدول هجرة لعقولها البشرية بعدد 215 ألفاً و 347 كفاءة، يليها المغرب بـ 207 آلاف و 117 كفاءة، ثم مصر بـ 147 ألف كفاءة و 835، لبنان بـ 110 آلاف و 960 كفاءة، والعراق بـ 83 ألفاً و 465 كفاءة،

¹⁹¹ مشهور إبراهيم، هجرة الكفاءات وآثارها السياسية والاقتصادية على الدول النامية، الحوار المتمدن، العدد 2391، 2008/9/1، على رابط:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145749>

جمال وهبي، الجزائر والمغرب من أكثر الدول التي تهاجر أدمغتها، مقال رأي، جريدة المساء، العدد 192، 446، 25 فبراير 2008.

وتونس بـ 68 ألفاً و190 كفاءة، فيما تعد كل من سلطنة عمان وقطر الأقل من حيث عدد العقول والكفاءات البشرية المهجرة منهما بإجمالي 1012 و1465 كفاءة على الترتيب.

وبحسب دراسات أخرى للجامعة العربية، فإنه يهاجر حوالي مائة ألف من العلماء والمهندسون والأطباء والخبراء كل عام من ثمانية أقطار عربية هي لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر وتونس والمغرب والجزائر، كما أن 54% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم، ولدرجة أن الأطباء العرب يمثلون 34% من إجمالي عدد الأطباء في بريطانيا، كما تشير هذه الدراسات إلى أن 20% من خريجي الجامعات العربية يهاجرون إلى الخارج، وحوالي 60% ممن درسوا في الولايات المتحدة خلال الثلاثين عاماً الأخيرة لم يعودوا إلى بلادهم، و50% ممن درسوا في فرنسا لم يعودوا أيضاً إلى بلادهم¹⁹³.

وبحسب هذه الدراسات، فإن الوطن العربي يساهم بنحو 31% من الكفاءات والعقول المهاجرة من الدول النامية ككل، كما أن نحو 50% من الأطباء و23% من المهندسين و15% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا، و75% من الكفاءات العلمية العربية مهاجرة إلى ثلاثة دول تحديداً هي بريطانيا وأمريكا وكندا¹⁹⁴.

193 مذكورة الأمانة العامة حول جوهر الأدمغة العربية وضع سياسة واضحة لاستيعاب الكفاءات العربية و الحد من هجرتها إلى الخارج، الاتحاد البرلماني العربي، مجلة البرلمان العربي، العام الثاني والعشرون، العدد 82، ديسمبر 2001، على رابط:

<http://www.arab-ipu.org/publications/journal/v82/memobrain.html>

194 إبراهيم قويدر، فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى .. وقف هجرة العقول العربية، على رابط http://www.4shared.com/office/549ntA-B/_____.html

وأشارت إحصائيات أخرى إلى أن إجمالي الصرف على العلماء في الغرب يعادل ضعف إنتاج النفط العربي سنوياً، وأن 12% فقط من بلدان العالم تستحوذ على 95% من العلماء¹⁹⁵.

كما أن دراسة حديثة حسب مجلة "آراب ويكلي" الأسبوعية، التي تصدر من الولايات المتحدة الأمريكية أشارت إلى أن لدى المغرب ثاني أعلى معدل الهجرة الأدمغة في منطقة الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، على الرغم من أن الرباط بدأت في إطلاق محاولة للتخفيف من حدة هذا الإشكال منذ 2007، وقدمت الحكومة المغربية المنتدى الدولي للكفاءات المغربية في الخارج (FINCOME)¹⁹⁶ لجذب المهنيين الشباب، والأكاديميين المغاربة، الذين يعملون في الخارج إلى المغرب، وإدماجهم في قطاعات التعليم العالي، والبحث العلمي، والأعمال في البلاد.

وبعد مضي زهاء 12 سنة من إطلاق المخطط الحكومي المذكور، كشفت دراسة نشرتها جامعة الدول العربية، العام الماضي، أن هناك حوالي 50000 طالب مغربي يدرسون في الخارج، وحوالي 20 ألف خبير مغربي في مجالات مختلفة اختاروا العمل خارج بلدهم. وعزز هذا الطرح الدراسة، التي أطلقها موقع "روكريت" الرائد في مجال التوظيف، حيث كشف بدوره أن 91 في المائة من الخريجين المغاربة يحملون بمغادرة البلد والعثور على فرصة مهنية في الخارج، لأنهم يعتقدون بأن الهجرة من المغرب ستساعدهم في الارتقاء، والتطور في مساهم المهني.

195

<http://www.alarabonline.org/index.asp?fname=%5C2012%5C05%5C0523%5C447.htm&dismode=x&ts=23-5-2012%2012:24:16>

، استراتيجية تم إنجازها من قبل الوزارة بتشارك مع القطاعات المعنية FINCOME إن برنامج¹⁹⁶ ، وذلك بمساعدة برنامج الأمم المتحدة "Association R&D Maroc" والجمعية المغربية للبحث التنموي . ويروم برنامج هذه الاستراتيجية حسب الوزير إلى دعم البحث التنموي والتكوين ونقل PNUD للتنمية التكنولوجية والخبرات وتقديم المساعدة والخبرة لإعداد الاستراتيجيات القطاعية للتنمية وتقييم برامج ومشاريع البحث وجذب الاستثمار وشراكة الأعمال وخلق التآزر بين الكفاءات المحلية والكفاءات المغربية المقيمة بالخارج، لاسيما من خلال شبكات البحث و المساهمة في تعزيز التعاون الثنائي

وأكدت الفيدرالية الوطنية لتكنولوجيا المعلومات والاتصال والأوفشورينغ، أن المدارس، والمعاهد المغربية، تكون سنويا 8000 إطار، وخبير في مجال تكنولوجيا المعلومات، غير أن نسبة تصل إلى 20 في المائة منهم تهاجر للخارج دون تردد، حتى وإن كان السوق المغربي يحتاجهم بشدة.

وقال هشام متحد، أستاذ وباحث في العلوم السياسية والاستراتيجية في كندا، إن الحكومة المغربية لم تأخذ قضية هجرة الأدمغة على محمل الجد، خصوصا عندما يكون المغرب، الآن، في حاجة ماسة إليهم أكثر من أي وقت مضى. ودعا متحد الحكومة المغربية إلى التعامل بمسؤولية لكبح هجرة الأدمغة، وقال "عليها أن تعمل بجدية لاستعادة الخبراء والكفاءات المغاربة المقيمين في الخارج، وإدماجهم من أجل المساهمة في تسريع تنمية البلاد¹⁹⁷".

و من بين الأمور التي سهلت هجرة الكفاءات المغربية "تأشيرة التكنولوجيا الفرنسية"، التي أطلقتها فرنسا سنة 2017، والموجهة بالتحديد إلى المتخصصين في التكنولوجيا، حيث تمكنهم هذه التأشيرة من الإقامة والعمل.

ان هذا التنافس الدولي على الاستفادة من الخبرات والكفاءات العلمية المغربية، فإن الشركات المغربية المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات، تضطر لبدل جهد كبير، وابتكار سياسات للحفاظ على موظفيها.

حيث عزت رئيسة الفدرالية المغربية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والأوفشورينغ، سلوى كركري بلقريز، التي هاجر 3 من أطر شركتها إلى الخارج هي الأخرى، ذلك إلى التباين في الأجور، مضيفة أن "هنا مدير مشروع ندفع له 25 ألف درهم في الشهر أي 2300 أورو، وفي فرنسا يدفع لهم حوالي 3500 أورو، إذن فلا يمكننا التنافس على هذا المستوى". وهو ما يحتم على الشركات المغربية، أن تبذل "جهدا حقيقيا للاحتفاظ بهذه الكفاءات¹⁹⁸".

¹⁹⁷ <https://www.alalam.ma/> 2019/04/02 جريدة العلم بتاريخ

¹⁹⁸ <https://www.alalam.ma/> 2019/1/21 جريدة العلم بتاريخ

المحور الثالث - أسباب ودوافع هجرة العقول المغربية والعربية:

"إن لكل عالم وخبير عربي أسبابه الخاصة التي دفعته إلى الهجرة، وهذه تضاف إلى الأسباب العامة المشتركة في الوطن العربي، حيث لا احترام للعلم والعلماء، ولا تتوفر البيئة المناسبة للبحث العلمي والإبداع، وبالتالي فمن الطبيعي أن يبحث العالم العربي وطالب المعرفة عن المكان الذي تتواجد فيه شعلة الحضارة، إذ عندما كان العالم العربي يحمل شعلة الحضارة قبل مئات السنين كان يأتيه المفكرون والخبرات والعقول من كل حذب وصوب، وبما أن شعلة الحضارة انتقلت إلى الغرب فمن الطبيعي أن يهاجر الخبراء والعلماء إلى المراكز التي تحتضن هذه الشعلة"¹⁹⁹.. هذه العبارة ذكرها العالم المصري الدكتور فاروق الباز وهو من كبار العقول العربية التي هاجرت من مصر منذ ستينيات القرن الماضي، والتي لخص خلالها أسباب ظاهرة هجرة الكفاءات العربية.

ومن خلال مراجعة الأدبيات الخاصة بالهجرة الدولية يتضح عدم وجود نظرية متكاملة أو نموذج شامل وحيد قادر على تفسير أسباب وديناميكيات الهجرة، فالإسهامات المقدمة في هذا المجال تمثل نظريات ونماذج جزئية تقترب من الظاهرة من منظورات مختلفة، فهناك أدبيات ترجع أسباب الهجرة إلى منطق التحليل الاقتصادي الذي يركز على منطلقات الفاعل الرشيد وتحليل التكلفة- العائد، فلا شك أن عملية الهجرة ترتبط برغبة الشخص في تحسين وضعه الاقتصادي والاجتماعي، ويأتي قرار الهجرة بعد حساب الشخص للتكاليف التي سيتحملها في حالة انتقاله من بلده الأصلي إلى بلد المهجر في مقابل المنافع التي سيجنيها من هذا الانتقال، ويدفعه إلى اتخاذ القرار رجحان كفة الثانية. وبالإضافة إلى هذا الاتجاه الاقتصادي في تفسير الهجرة، توجد نظريات هيكلية *Structural Theories* تربط الهجرة بالتطورات المجتمعية التي تشهدها دولة معينة، فالدول تشهد تحولات في هيكلها الاقتصادية والاجتماعية قد تغير الوضع الاجتماعي أو الطبقي لبعض الأشخاص ومن ثم تدفعهم إلى الهجرة، هذا إلى جانب النظريات التي تركز على الإطار الدولي المحدد لهيكل السوق الدولي للعمالة في التأثير على الهجرة، فازدياد الفجوة بين دول الشمال ودول الجنوب وتحول الأخيرة

¹⁹⁹ <http://www.algomhoriah.net/newsweekprint.php?sid=65562>

إلى دول الهامش في النظام الاقتصادي الدولي يزيد من معدلات الهجرة من الجنوب إلى الشمال بحثاً عن حياة أفضل²⁰⁰.

ومن ثم يمكن الإشارة إلى نوعين من العوامل (الأسباب) وراء ظاهرة هجرة العقول العربية، إحداها طاردة تتعلق بدول المنشأ أو الدول المرسل (الدول العربية)، والأخرى جاذبة خاصة بدول الاستقبال (الدول المستقبلة).

ومن بين هذه العوامل والأسباب تأتي 1- التحديات السياسية، ومنها الفساد السياسي وغياب الديمقراطية وتزايد القمع وانتهاكات حقوق الإنسان²⁰¹، والإشكاليات التي تعترض بعض تجارب الديمقراطية العربية، وتهميش الباحث من قبل القيادات العلمية والسياسية والتي تؤدي في بعض الأحيان إلى شعور بعض أصحاب الخبرات بالغبرة في أوطانهم، أو تضطربهم إلى الهجرة سعياً وراء ظروف أكثر حرية واستقراراً.

2- عوامل اقتصادية طاردة تتعلق بانتشار البطالة والتي تؤكد التقارير الصادرة عن منظمة العمل العربية أن نسبتها في العالم العربي تجاوزت 14%²⁰²، وقلة العائد المادي لمختلف الكفاءات العلمية والفنية، وقلة حجم الإنفاق على البحث العلمي في الدول العربية، ويكفي الإشارة إلى تقرير منظمة اليونسكو عام 2010²⁰³ والذي أكد أن حجم الإنفاق على البحث العلمي في العالم العربي هو الأقل في العالم، ففي الدول العربية الإفريقية وصل ما بين 0.3% و4% خلال السنوات ما بين 2002 و2007 من جملة الناتج القومي، بينما وصل الإنفاق في الدول العربية الآسيوية 0.1% في الفترة نفسها، فيما بلغ الإنفاق العالمي في دولة مثل إسرائيل ما بين 4,6 و4,8% عام 2006، ويضاف إلى العوامل الاقتصادية أيضاً إلحاق العلماء بأعمال لا تتلاءم مع خبراتهم وتخصصاتهم، وتقضى الإجراءات الروتينية في أعمالهم،

راوية توفيق، هجرة أبناء الشمال الأفريقي إلى أوروبا .. تحليل للأسباب والدوافع، ندوة "المغتربون" 2007 العرب من شمال أفريقيا في المهجر الأوروبي، القاهرة، ٢٣ و ٢٤ أبريل 2007، جامعة الدول العربية، 2007.

إبراهيم قويدر، فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى .. وقف هجرة العقول العربية، مرجع سابق ذكره.²⁰¹

عادل عبد الغفار، الإعلام وتفعيل المشاركة المجتمعية للشباب في الدول العربية، بحث مقدم إلى مؤتمر 202 الإعلام وتفعيل المشاركة المجتمعية للشباب العرب، القاهرة، يونيو 2009، المنتدى العربي للإعلامي للبيئة والتنمية، 2009.

²⁰³ <http://www.unesco.org/new/ar/unesco/>

بالإضافة إلى الاعتماد المكثف على الخبرات الفنية والتقنيات الغربية على حساب الكفاءات الوطنية.

3- العوامل الاجتماعية، وأبرزها وجود تفرقة بين خريجي الجامعات الوطنية والأجنبية، مما أدى إلى تشجيع الدراسة في الخارج.

وبالإضافة إلى ما سبق، ثمة مجموعة من العوامل الجاذبة لهجرة العقول العربية إلى الدول المتقدمة، وهي في الغالب تتلخص في توافر إمكانيات البحث العلمي في الدول التي تتم الهجرة إليها سواء ما يتعلق بمناخ البحث العلمي السائد أو الإمكانيات المادية من معامل ومختبرات وتمويل وفرق عمل بحثي متكاملة، إلى جانب وجود الجماعة العلمية المرجعية المحفزة للإبداع العلمي، وكذلك المغريات المادية التي تقدمها دول المهجر²⁰⁴.

المحور الرابع - التداعيات السلبية لظاهرة هجرة الكفاءات:

تفرز هجرة العقول المغربية والعربية إلى البلدان الغربية عدّة آثار سلبية على واقع التنمية في الوطن العربي، ولا تقتصر هذه الآثار على واقع ومستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية فحسب ولكنها تمتد إلى التعليم في الوطن العربي وإمكانيات توظيف مخرجاته في بناء وتطوير قاعدة تقنية عربية، ومن أهم الانعكاسات السلبية لنزيف العقول المغربية والعربية المهاجرة²⁰⁵:

- تمثل هجرة العقول العربية استنزافاً لشريحة مؤثرة وفاعلة في المجتمع العربي، ولها دور بارز، وبالذات في المرحلة الحالية، حيث شرعت أغلب البلدان العربية وبخاصة النفطية منها بتنفيذ خطط تنموية واسعة النطاق، وهي بلاشك بأمر الحاجة إلى الكفاءات العلمية والأيدي العاملة المدربة القادرة على النهوض بالأعباء الملقاة على عاتقها إلى مستوى الطموح.

محمد عبد الله المنصوري، عبد العالي بوحويش الداخ، هجرة العقول العربية أسبابها وآثارها الاقتصادية، 204 مؤسسة الفكر العربي، على رابط:

<http://www.arabthought.org/>

²⁰⁵ <http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=22196>

- تعتبر هجرة العقول العربية خسارة في مجال التعليم في جميع مراحلها، فمن المعلوم أن البلاد العربية تعد من أكثر المناطق في العالم أمية، إذ يبلغ معدل الأمية في الوطن العربي حالياً نحو 49%، ويشكل هذا الرقم أحد المعوقات الرئيسية أمام التنمية العربية في عصر تمثل فيه الكفاءات العلمية والتقنية والمعرفة المصدر الرئيسي للميزة النسبية وأساس التفوق والتنافس بين الأمم.
- من المخاطر البالغة الأثر لهجرة العقول العربية، تلك الخسائر المتعلقة بهدر الأموال الطائلة التي تم إنفاقها على تعليم وتدريب الطلبة الذين نالوا هذه الكفاءات المتقدمة.
- تؤدي هجرة العقول العربية إلى توسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، لأن هجرة الأدمغة إلى الدول المتقدمة تعطي هذه الدول فوائد كبيرة ذات مردود اقتصادي مباشر، بينما تشكل بالمقابل خسارة صافية للبلدان التي نزع منها أولئك العلماء، خاصة وأن التكنولوجيات والاختراعات المتطورة التي أبدعها أو أسهم في إبداعها أولئك العلماء المهاجرين تعتبر ملكاً خاصاً للدول الجاذبة لهم.
- تركز هذه الظاهرة التبعية للبلدان المتقدمة، وتبرز مظاهر التبعية في هذا المجال بالاعتماد على التكنولوجيا المستوردة، والتبعية الثقافية والاندماج في سياسات تعليمية غير متوافقة مع خطط التنمية.
- وعموماً فقد قدر أحد تقارير منظمة العمل العربية أن الخسائر التي تتكبدها الدول العربية سنوياً لا تقل عن 200 مليار دولار بسبب هجرة العقول إلى الخارج، وتقترن هذه الأرقام بخسائر كبيرة نجمت عن تأهيل هذه العقول ودفع كلفة تعليمها داخل أوطانها، مما يؤكد أن الدول العربية، ومعها سائر الدول النامية تقدم مساعدات إلى البلدان المتقدمة عبر تأهيلها لهذه الكفاءات ثم تصديرها إلى هذه البلدان المتقدمة لتفيد من خبراتها العلمية²⁰⁶.

²⁰⁶ <http://arabic.arabianbusiness.com/society/politics-economics/2007/sep/16/335/>

والأخطر من ذلك النتيجة التي أبرزها ريفين برينز - الأستاذ في دراسات الأعمال في جامعة ماكجيل الكندية- والتي ذكرها في كتابه "القرن المالي" إذ يقول: (في ظل اقتصاد العولمة سيذهب البشر والأموال إلى حيث يمكنهم أن يكونوا مفيدين ومربحين، ففي كل عام يغادر ما يقدر عددهم بنحو 1,8 مليون من المتعلمين ذوي المهارات والخبرات من العالم الإسلامي إلى الغرب، وإذا افترضنا أن تعليم أحد هؤلاء المهاجرين يكلف في المتوسط عشرة آلاف دولار، فإن ذلك يعني تحويل 18 مليار دولار من الأقطار الإسلامية إلى الولايات المتحدة وأوروبا كل عام)²⁰⁷، وإذا راكمنا هذا المبلغ نظرياً على مدى عدة سنوات يصبح مفهوماً أكثر لماذا تزداد الأقطار الغنية غنى والفقيرة فقراً.

كما تتجلى الخطورة في أن عدداً المهاجرين العرب في الدول الغربية يعملون في أهم التخصصات الإستراتيجية، مثل الطب النووي والجراحات الدقيقة والهندسة الإلكترونية والميكرو إلكترونية والعلاج بالإشعاع والهندسة النووية وعلوم الليزر وتكنولوجيا الأنسجة والفيزياء النووية وعلوم الفضاء والميكروبيولوجيا والهندسة الوراثية، وتشجع العديد من الدول المتقدمة العقول والأدمغة العربية النابغة على البقاء في الدول التي هاجروا إليها، ومثال على ذلك قرار أصدره الكونجرس الأمريكي عام 2009 بزيادة نسبة الحصول على بطاقات الإقامة للمتخرجين الأجانب في مجال التكنولوجيا المتطورة من 90 ألفاً في السنة إلى 150 ألفاً، ثم إلى 210 ألفاً في عام 2009²⁰⁸.

المحور الخامس - سياسة الهجرة في المملكة المغربية

أولاً - هجرة الكفاءات في الخطابات الملكية :

ما فتئت الخطابات الملكية تحت الحكومة وتدعوها إلى الانكباب بكل جدية ومسؤولية، على هذه المسألة ألا وهي هجرة الكفاءات الى الخارج، من أجل توفير الجاذبية والظروف المناسبة لتحفيز هذه الكفاءات على الاستقرار والعمل بالمغرب. فقد ورد في خطاب ثورة الملك والشعب 2018 الأسباب التي تدفع الشباب المغاربة وخاصة من حاملي الشهادات العلمية والتقنية الى

هدى بنت فهد المعجل، بتر العقول أو نزيف الأدمغة أو البيئة الطاردة للعقول، على رابط: ²⁰⁷

<http://www.al-jazirah.com/2012/20120613/ar8.htm>

²⁰⁸ <http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=301014>

الهجرة الى الخارج " ليس فقط بسبب التحفيزات المغربية هناك، وإنما أيضا لأنهم لا يجدون في بلدهم المناخ والشروط الملائمة للاشتغال، والترقي المهني، والابتكار والبحث العلمي. وهي عموما نفس الأسباب التي تدفع عددا من الطلبة المغربية بالخارج لعدم العودة للعمل في بلدهم بعد استكمال دراستهم". ومن أجل التصدي للإشكالية المزمنة، للملاءمة بين التكوين والتشغيل، والتخفيف من البطالة، دعا الخطاب الملكي الحكومة والفاعلين لاتخاذ مجموعة من التدابير، في أقرب الآجال، تهدف على الخصوص إلى:

+أولا : تنظيم لقاء وطني للتشغيل والتكوين، وذلك قبل نهاية السنة 2018، لبلورة قرارات عملية، وحلول جديدة، وإطلاق مبادرات، ووضع خارطة طريق مضبوطة، للنهوض بالتشغيل.

+ثانيا : إعطاء الأسبقية للتخصصات التي توفر الشغل، واعتماد نظام ناجع للتوجيه المبكر، سنتين أو ثلاث سنوات قبل البكالوريا، لمساعدة التلاميذ على الاختيار، حسب مؤهلاتهم وميولاتهم، بين التوجه للشعب الجامعية أو للتكوين المهني. وإبرام اتفاقية إطار بين الحكومة والقطاع الخاص، لإعطاء دفعة قوية في مجال إعادة تأهيل الطلبة الذين يغادرون الدراسة دون شواهد، بما يتيح لهم الفرص من جديد، لتسهيل اندماجهم في الحياة المهنية والاجتماعية.

ثالثا : إعادة النظر بشكل شامل في تخصصات التكوين المهني لجعلها تستجيب لحاجيات المقاولات والقطاع العام، وتواكب التحولات التي تعرفها الصناعات والمهن، بما يتيح للخريجين فرصا أكبر للاندماج المهني²⁰⁹.

فإلى أي حد تم تحقيق هذه الأهداف من طرف الحكومة والقطاع الخاص لصالح الكفاءات المغربية ؟

ثانيا - الإطار التشريعي للهجرة في المملكة المغربية

خطاب ثورة الملك والشعب 20 غشت 2018 209

ظهرت اولى التشريعات المغربية المتعلقة بالهجرة سنوات الثلاثينات من القرن العشرين، أي ابان الاحتلال الفرنسي فقد تم تنظيم الهجرة بموجب المرسوم الملكي الصادر في 13 يوليوز 1938، وحل محله بعد ذلك ظهير ملكي آخر في 08 نوفمبر 1949 يهدف الى تنظيم هجرة العمال المغاربة.

وبعد الاستقلال انتهجت المملكة سياسة تشجيع الهجرة الدولية لمدة عشرين عاما تقريبا، وذلك كواحدة من الحلول لأزمة البطالة في المغرب، وكذلك لتخفيف الضغط على سوق العمل خلال الفترة الممتدة من 1975 - 1959 وهذا يعتبر حل سريع ومؤقت حسب العديد من الخبراء، ولكن يشكل حل عشوائي وغير مدروس في ذلك الوقت. لأن الهدف الأوحد هو التخلص من الفائض العمالي، دون النظر الى الظروف اللإنسانية التي يعيشونها في بلاد الاستقبال وعلى وجه الخصوص فرنسا واسبانيا.

ولدعم تلك السياسة، عقد المغرب عدة اتفاقيات مع أهم الشركاء الأوروبيين المهتمين بتوظيف المواطنين المغاربة. ولقد تم في هذا الاطار توقيع أربع من هذه الاتفاقيات ما بين عامي 1963 و 1969 ومن هذه الاتفاقيات :

1- اتفاقية 01 يونيو 1963 مع فرنسا، بما في ذلك الاتفاق على وضع المغاربة في فرنسا والفرنسيين في المغرب وملحق متعلق بشأن اجراءات التوظيف،

2- اتفاقية 21 ماي 1963 مع ألمانيا الاتحادية بشأن العمالة المؤقتة للعمال المغاربة في ألمانيا.

3- اتفاقية 17 فبراير 1964 وقعت في بروكسل مع مملكة بلجيكا، بشأن توظيف العمال المغاربة. في حين تم التوقيع على ملحق يتعلق بالضمان الاجتماعي بين البلدين في 1970

4- اتفاقية 14 مايو 1969 تم توقيعها في لاهاي مع مملكة هولندا بشأن توظيف وانتساب العمال المغاربة في هولندا، في حين تم التوقيع على ملحق يتعلق بالضمان الاجتماعي حتى

عام 1970

وتهدف هذه الاتفاقيات أساسا الى تنظيم توظيف العمال المغاربة في الدول الموقعة والاعتراف بحقوقهم بعد قبولهم (المساواة في المعاملة مع المواطنين، لم شمل الأسرة... الخ).

وتم توقيع اتفاقيات أخرى كما جرى الحال مع ليبيا في عام 1965 ، سوريا في 18 أوت 1972، اسبانيا والسويد ومعظم الدول العربية في عقد السبعينات .ومن خلال توقيع هذه الاتفاقيات، فإن المغرب سعى بالتالي إلى التحكم في الإدارة الفعالة لطلبات العمل من الخارج وضمان التوزيع المتوازن وفقا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، وتوجيه السياسات الإقليمية . ولكن منذ منتصف السبعينات، فإن فعالية هذا النظام بدأت تضعف إلى حد كبير . وفي بداية الثمانينات، بدا يعود بشكل كبيرا جدا، ويعمل كصمام أمان بالنسبة للاستراتيجيات الحكومية المتعاقبة.

يتميز الوضع الحالي بوجود تيار مستمر من الهجرة، أصبح يتسم بالفردية، العفوية، لانضباطية أو غير قانونية، بالإضافة إلى ذلك، ظهرت أشكال جديدة من المغادرة .من بينها، اللاحق بالأزواج ولم شمل الأسرة، هجرة الطلبة، هجرة الأدمغة وهجرة الإناث، وحتى الأطفال غير المصحوبين

وفي سنة 1990 وبالضبط في 13 يوليوز 1990 ، صدر الظهير الملكي رقم - 90 - 1 و79، الذي تم بموجبه انشاء مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج، من طرف الملك الحسن الثاني .و هي مؤسسة هدفها غير ربحي، وتعمل على مساعدة المغاربة المقيمين بالخارج على الاندماج في المجتمع المغربي.وبالنسبة لقانون العمل لسنة 2002 قام بتنظيم ظروف العمل للأجانب في المغرب وكذلك بالنسبة للمغاربة المقيمين .وذلك من خلال التركيز على العقوبات ضد المهاجرين الذين لا تنطبق عليهم قواعد الدخول والإقامة، ويتجاهل هذا القانون حقوق المهاجرين، سواء كانوا أجناب أو مغاربة مقيمين في الخارج.

وفي 11 نوفمبر 2003 صدر القانون رقم 03 - 02 بشأن دخول وإقامة الأجانب في المغرب والهجرة، والهجرة غير النظامية . فهذا القانون ينص على أن كل أجنبي يرغب في الدخول إلى المغرب، يجب أن يتوفر على وثائق السفر اللازمة معترفا بها من لدن الدولة المغربية .ويمكن التأكد من وسائل عيش الشخص المعني بالأمر وأسباب قدومه إلى المغرب وضمانات رجوعه إلى بلده.

كما يمكن للسلطة المختصة المكلفة بالمراقبة في المراكز الحدودية، أن ترفض دخول أي شخص إلى التراب المغربي إذا كان لا يستطيع الوفاء بهذه الالتزامات أو لا يتوفر على المبررات المنصوص عليها في الأحكام المشار إليها أعلاه أو الواردة في النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالهجرة، إذا كان وجوده بالمغرب يشكل تهديدا للنظام العام أو كان ممنوعا من الدخول إلى المغرب أو مطرودا منه. ولذلك تحدد مدة الإقامة بالمغرب لأغراض سياحية بثلاثة أشهر بالنسبة للأجانب المعفون من التأشيرة ولمدة صلاحية التأشيرة بالنسبة للأجانب غير المعفون من التأشيرة.

وفي 21 ديسمبر 2007 تم تأسيس مجلس الجالية المغربية بالخارج، وذلك بموجب الظهير الملكي رقم 1 / 07 / 208 وهو مؤسسة وطنية مغربية استشارية تتمتع بالاستقلال الإداري والمالي، تحت الاشراف الملكي لملك المغرب، لعهدتها مدتها أربع سنوات.

وبعد سنة من ذلك، م صدور الظهير الملكي رقم 01.08.17 في 20 أكتوبر . 2008 والمنظم للمجلس العلمي المغربي لأوروبا. 263 كما صدر الظهير رقم 1.08.131 القاضي بتعيين رئيس المجلس العلمي المغربي لأوروبا و أعضائه . ويعنى هذا المجلس بالشؤون الدينية والفكرية للمغاربة والمسلمين المقيمين بأوروبا . ويسعى إلى تثبيت مرجعية دينية تعزز سبل الحوار والتواصل بين مختلف الديانات و الثقافات داخل المجتمعات الأوروبية.

في نهاية سنة 2013 ، م صدور مرسوم رقم 2.13.731 صادر في 23 من ذي القعدة 30 (1434 سبتمبر) 2013 يتعلق بإحداث اللجنة الوزارية لشؤون المغاربة المقيمين في الخارج .ومهمتها دراسة وتتبع تنفيذ التدابير المتعلقة بمختلف القطاعات التي من شأنها النهوض بأوضاع المغاربة المقيمين بالخارج، وذلك بالتنسيق مع مختلف القطاعات العمومية والخاصة المعنية بالموضوع .ويرأس هذه اللجنة رئيس الحكومة، وتتكون من كل الوزارات المعنية بشؤون المغاربة المقيمين بالخارج، إضافة الى رئيس مجلس الجالية المغربية بالخارج والرئيس المنتدب لمؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج. 264

ويعد أشهر قليلة، صدر مرس وم رقم 2.14.192 صادر في 4 جمادى الآخرة (1435
4أبريل) 2014 ، تعلق أساسا بتحديد اختصاصات وتنظيم الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين
بالخارج وشؤون الهجرة . 265 وسوف نتطرق لها في المطلب الموالي.

ثالثا- الإطار المؤسسي للهجرة في المملكة المغربية

أ-الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج وشؤون الهجرة :مسؤولة عن وضع وتنفيذ
سياسة الحكومة بشأن الجالية المغربية في الخارج. لذلك تتكلف الوزارة، بالتعاون و بالتنسيق
مع الوزارات المعنية، من خلال خطة عملها إلى بلورة إستراتيجية التدخل الحكومي على المدى
القريب،المتوسط والبعيد .وتتجلى هذه الإستراتيجية في خمسة محاور أساسية قائمة على عدة
أنشطة ومشاريع واضحة هي²¹⁰

-تعزيز الروابط والثقافة المغربية :

-الدفاع عن حقوق ومصالح المغاربة المقيمين بالخارج :وتشجيع أنشطة القرب الاجتماعية
بالخارج تتجلى الأهداف المرصودة من خلال هذا المحور في الدفاع عن حقوق مغاربة
العالم وتحسين وضعيتهم القضائية والاجتماعية والبشرية داخل المغرب كما في دول الاستقبال
مع تشجيع اندماجهم ومعايشتهم داخل مجتمعات الدول المستقبلية .

- تعبئة الجالية المغربية المقيمة بالخارج للنهوض بالتنمية الوطنية للمغرب :وذلك بتشجيع
مساهمة مغاربة العالم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية للمغرب وتعبئة الطاقات
المغربية المقيمة بالخارج واستخدام كفاءاتهم العلمية والمهنية من أجل دعم اندماج المغرب
في اقتصاد المعرفة.

- بلورة سياسة وطنية متكاملة واستشرافية تخص قضية الهجرة ودعم تناسق الاستراتيجيات
القطاعية : يتعلق الأمر بتحديث المقاربة المنهجية المتعلقة بتدبير شؤون الجالية المغربية
المقيمة بالخارج والسهر على بلورة سياسة وطنية جديدة ذات بعد استراتيجي تخول لنا توضيح
الرؤية وتحديد لأهداف والأولويات وبلورة الحلول مع التحديد وبكل دقة، للأدوار والمهام
المنوطة بكل متدخل في إطار صلاحياته.

الهجرة وشؤون الخارج المقيمين بالمغاربة المكلفة للوزارة الرسمي الموقع الى استنادا 210

- تعزيز الشراكة وتطوير التعاون الدولي: من أجل خلق مشاريع لفائدة الجالية المغربية المقيمة بالخارج، الدخول في شراكات مع الجامعات ومراكز الأبحاث الوطنية والدولية

ب- مجلس الجالية المغربية بالخارج: مجلس الجالية المغربية بالخارج هو مؤسسة وطنية مغربية استشارية تتمتع بالاستقلال الإداري والمالي. تأسس المجلس بموجب الظهير الملكي رقم 1 / 07 / 208 الصادر بتاريخ 21 ديسمبر 2007. ومهمته تتمثل في ضمان المتابعة والتقييم للسياسات العمومية للمملكة تجاه مواطنيها المهاجرين وتحسينها بهدف ضمان حقوقهم وتكثيف مشاركتهم في التنمية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للبلاد. وبالمقابل فإن مجلس الجالية المغربية بالخارج مكلف بالاضطلاع بوظائف الإحاطة بإشكاليات الهجرة واستشرافها والمساهمة في تنمية العلاقات بين المغرب وحكومات ومجتمعات بلدان إقامة المهاجرين المغاربة .

ج- مديرية الهجرة ومراقبة الحدود: من المؤسسات التي استحدثت بالمملكة المغربية يمكن ذكر مديرية الهجرة ومراقبة الحدود، التي استحدثت في يونيو 2005 وتتبع في تدرجها الإداري للمديرية العامة للشؤون الداخلية بوزارة الداخلية. ويعد سنة من استحداثها ركزت المديرية جهودها الأمنية، في اتجاه احتواء ظاهرة الهجرة السرية والحد منها من خلال متابعة الملفات المختلفة على الصعيد الأورو إفريقي. وتحددت معالم استراتيجية المديرية الفنية في مجال تخصصها في إطار تشريعي عام (قانون-

02 - 03 الخاص بإقامة الأجانب)، في خمس مكونات أساسية يتصدرها المكون الأمني، المرتبط بشكل وثيق بباقي المكونات الأخرى

د- جهود الجمعيات وفعاليات المجتمع المدني:

- مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج:

أنشأت مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج سنة 1990 ، من طرف الملك الحسن الثاني. وعهدت للرعاية الفعلية للأميرة للا مريم، وذلك بمقتضى القانون رقم - 19 89 و الظهير رقم 79 - 90 - 1 الصادر في يوليوز . 1990 و هي مؤسسة لا تهدف

إلى الحصول على الرّيح، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي .و الهدف الأساسي لإنشاء مؤسسة الحسن الثاني

للمغاربة المقيمين بالخارج هو "ضمان استمرار العلاقات الأساسية التي تربطهم بوطنهم، و إلى مساعدتهم على تذليل الصعوبات التي تعترضهم بسبب اغترابهم"

-المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة:

يعنى المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة بالشؤون الدينية والفكرية للمغاربة والمسلمين المقيمين بأوروبا .ويسعى إلى تثبيت مرجعية دينية تعزز سبل الحوار والتواصل بين مختلف الديانات و الثقافات داخل المجتمعات الأوروبية . ولقد م تنظيم المجلس وفق الظهير الملكي رقم 01.08.17 الصادر في 20 أكتوبر 2008 والمنظم للمجلس العلمي المغربي لأوروبا كما صدر الظهير رقم 1.08.131 القاضي بتعيين رئيس المجلس العلمي المغربي لأوروبا و أعضاءه.

ويعمل المجلس من أجل حماية و صون الهوية الثقافية والدينية في انسجام مع ظروفها المعيشية العادية، المهنية منها والاجتماعية .ومما جاء في مهام المجلس كذلك السهر على حسن أداء الفرائض الدينية و القيام بشعائر الإسلام في جو من الطمأنينة في إطار العقيدة الأشعرية و المذهب المالكي، أو لمساهمة في أي حوار مفتوح بين كافة العقائد وتنسيق أشغاله مع مجلس الجالية المغربية بالخارج، وإحالة الطلبات الخاصة بالمسائل التي تعرض على الهيئة المكلفة بالإفتاء وإقامة علاقات التعاون العلمي مع الدول الأوروبية والمؤسسات و المنظمات الإسلامية .وكذا تقديم المساعدة للجالية المغربية المسلمة المقيمة في أوروبا لا سيما الشباب منها لتمكينها من الفهم الصحيح للإسلام، والنهوض بالترقية الاجتماعية للنساء المغربيات المقيمت في الخارج ; والإشراف على عمل المساجد التي يسيرها مغاربة مقيمون في الخارج.

-مؤسسة محمد الخامس للتضامن:

أحدثت مؤسسة محمد الخامس للتضامن، تحت الرئاسة الفعلية للملك محمد السادس سنة 1999، وهي مؤسسة ذات منفعة عمومية، أنشئت بمقتضى المرسوم الصادر في 05 جويلية 1999، وتساهم المؤسسة بمعية الفاعلين الجمعويين الآخرين، في محاربة الفقر

-جمعية الهجرة والتنمية:

جمعية " الهجرة والتنمية " في المغرب هي منظمة غير حكومية فرنسية - مغربية لها فرعان في المغرب، هدفها تحفيز مساهمة المهاجرين في التنمية المحلية . وهي نشطة في المجتمعات المحلية القروية والفقيرة النائية في منطقة سوس، تقوم بتوفير البنية التحتية للكهرباء، ومياه الشرب، وبناء المؤسسات التعليمية والصحية والطرق، بالاعتماد على المشاركة المحلية

رابعاً- هجرة الأدمغة والسياسات المنتهجة في المملكة المغربية

لا يختلف المغرب عن العديد من الدول النامية في معاناتها من مشكلة هجرة الكفاءات العلمية الى الخارج بشكل كبير .وتعتبر المملكة من الدول العربية الأولى التي تحتل مراتب متقدمة رفقة كل من مصر واليمن ولبنان في تعداد المهاجرين وخاصة الكفاءات العلمية والفنية. وحسب احصائيات صادرة الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج²¹¹ فانه تم احصاء حوالي 3.800.000 مغربي مهاجر أي أكثر من 10 في المئة من مجموع الشعب المغربي، ويتجه أغلبهم نحو بلدان الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، كندا والعربية السعودية. وفي سنة 2000 وحسب نفس المصدر فانه تم تسجيل 17 في المئة من حاملي الشهادات الجامعية يغادرون المملكة .منهم حوالي 654 طبيب و 5176 ممرض كلهم تكونوا وتلقوا تعليمهم داخل المغرب.

وبالنسبة لتدفقات التحويلات المالية وهو ما يهم الحكومات المغربية. فيسجل المغرب منذ عقود فائضا واضحا .وذلك راجع طبعا للعدد الهائل من المهاجرين والمقيمين والعاملين في الخارج.

منشورات بالخارج، المقيمين بالمغاربة المكلفة الوزارة عن صادر بالخارج، المقيمين المغربية دليل 211 ص.04، 2012 البيضاء، الدار بريكوم،

فقد تضاعفت قيمة التحويلات الداخلة الى البلد من أكثر من 03 مليار دولار سنة 2003 ، الى حوالي 06 مليار و 500 مليون دولار .أما بالنسبة للتحويلات الخارجة من البلد فلم تكاد تتجاوز الستين 60 (مليون دولار 2009)

وعمل المغرب على محاولة حصر وجذب الكفاءات العلمية الناشطة في مختلف المخابر العلمية والجامعات والمعاهد والمستشفيات في الخارج .ومن أجل تسهيل الوصول للمعلومات المتعلقة بتعبئة تلك الكفاءات المغربية المقيمة بالخارج، أنشأت الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج و شؤون الهجرة بوابة إلكترونية على شبكة الإنترنت (بوابة مغربكم maghribcom.gov.ma مستهدفة بالمقام الأول ذوي الكفاءات من الجالية المغربية .كما أن أهمية هذه البوابة حسب مسؤوليها أنها موجهة لكل شخص ذي جنسية أو أصل مغربي يحمل مشروع استثمار أو شراكة أو تصدير، أو خبرات و تجارب أو مهارات أو غير ذلك مما يمكن وضعه رهن إشارة تنمية المغرب، سواء بشكل مؤقت أو دائم. ويمكن لهذا المشروع أن يندرج كعنصر داعم في إطار البرامج أو المخططات التنموية الحالية في المغرب..

توصيات مقترحة للتعامل مع ظاهرة هجرة الكفاءات المغربية:

إن البحث في مسألة مواجهة هجرة العقول المغربية يطرح التساؤل التالي: "لماذا يخفق المغرب العربية في بذل الجهود اللازمة لجذب علمائه وخبرائه ذوي المهارات العالية والدقيقة في حين نجحت دول أخرى في ذلك؟"، إن جانباً من الإجابة على هذا السؤال يكمن في الأسباب الدافعة للهجرة والتي أشرنا إليها أعلاه، ولكن ثمة جوانب أخرى يمكن توضيحها وهي أن المغرب يفتقد ما يمكن أن يطلق عليه "مشروع التنمية المتوازن والشامل"، والذي من أهم عوامله خلق وتعزيز البيئة الفكرية والعلمية والثقافية التي توفر مقومات العمل والاستقرار المعيشي والنفسي والإنتاج العلمي.

ومن ثم فإن الخطورة التي تشكلها هجرة العقول المغربية على برامج التنمية المغربية تتطلب إيجاد حلول للحد من هذه الظاهرة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى التوصيات والحلول الآتية:

- وضع إستراتيجية مغربية متكاملة وعاجلة للتصدي لمشكلة هجرة الكفاءات.
- زيادة ميزانية البحث العلمي في المغرب إلى 1 بالمائة من الناتج الوطني الخام وإنشاء مراكز للبحوث التنموية والعلمية، بما يوفر المناخ المناسب للكفاءات وأصحاب المواهب للعمل والإنتاج العلمي والإبداع بدلاً من الهجرة.
- -مساهمة التعليم الإيجابية في التنمية، تعتمد على نوعية وجودة التعليم ومدى ملاءمته لاحتياجات المجتمع في المراحل التنموية المختلفة . يضاف إلى ذلك أن تعليم مهارات الإنتاج الحديثة لمن هم حاصلون على تعليم أساسي جيد أسهل وأقل تكلفة من تدريب غير المتعلمين أو الحاصلين على قدر ضئيل منه . وفي عصر الصناعات المعتمدة على رأس المال البشري، أو ما تسمى " بصناعات العقل البشري " ، يتطلب أن يكون العمال ذوي مهارات عالية ومتجددة . وهذه المهارات ليست عربون نجاح بمفردها، بل لابد أن تكون ضمن تنظيمات ناجحة تحسن استخدامها وتمييزها بشكل مستمر ودائم.
- احترام الحريات الأكاديمية وصيانتها، وذلك بإعطاء أعضاء الهيئات الأكاديمية والعلمية حرية الوصول إلى مختلف علوم المعرفة والتطورات العلمية وتبادل المعلومات والأفكار والدراسات والبحوث، وفي استعمال مختلف وسائل التطور الحديثة دون تعقيد أو حواجز.
- إعادة النظر جذرياً في سلم الأجور والرواتب التي تمنح للكفاءات العلمية المغربية، ومنهم الحاصلين على الدكتوراة في التخصصات العلمية والتقنية والقانونية وتقديم حوافز مادية ترتبط بالبحث والإنتاج، ورفع الحدود العليا للأجور لمكافأة البارزين من ذوي الكفاءات وتقديم الحوافز التشجيعية.
- بناء شراكة مع العقول العربية المهاجرة، فالعلماء العرب اليوم يتواجدون في أعرق المراكز العلمية والجامعية والبحثية والصناعية، ويطلعون ويطورون كثيراً منها، لذلك

فإن بإمكانهم عند تقديم دعوة صادقة لهم للمشاركة من مواقعهم في بعض البرامج القائمة في مراكز البحث والجامعات العربية أن يكونوا خير عون إذا أحسن الاختيار وصدقت النوايا من الجانبين²¹².

- حثّ الحكومة المغربية "على تكوين الجمعيات والروابط لاستيعاب أصحاب الكفاءات المهاجرة من بلدانهم، وإزالة جميع العوائق التي تعيق ربطهم بأوطانهم، ومنحهم الحوافز المادية وتسهيل إجراءات عودتهم إلى أوطانهم للمشاركة في عملية التنمية والتحديث"²¹³.
- التعاون مع المنظمات الدولية المعنية مثل اليونسكو "لإقامة مشروعات ومراكز علمية في المغرب لاجتذاب العقول المغربية المهاجرة للإشراف على هذه المراكز والإسهام المباشر في أعمالها وأنشطتها"²¹⁴.

حنان يوسف، هجرة العقول العربية، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة إقليمية حول واقع وآفاق هجرة العمالة العربية في ضوء الشراكة الأورو متوسطية، القاهرة، أكتوبر 2006.

علي الطالقاني، هجرة الكفاءات ظاهرة عالمية، على رابط: ²¹³

<http://www.annabaa.org/nbanews/69/042.htm>

²¹⁴ Ayman Zohry, Migration Without Borders : North Africa as a Reserve of Cheap Labor for Europe, UNESCO, 2005.

قائمة المراجع

1- البحوث والدراسات:

- راوية توفيق، هجرة أبناء الشمال الأفريقي إلى أوروبا .. تحليل للأسباب والدوافع، بحث مقدم إلى ندوة "المغتربون العرب من شمال أفريقيا في المهجر الأوروبي، القاهرة، ٢٣ و ٢٤ أبريل 2007، جامعة الدول العربية، 2007.
- حنان يوسف، هجرة العقول العربية، ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة إقليمية حول واقع وآفاق هجرة العمالة العربية في ضوء الشراكة الأورو متوسطية، القاهرة ، أكتوبر 2006.
- عادل عبد الغفار، الإعلام وتفعيل المشاركة المجتمعية للشباب في الدول العربية، بحث مقدم إلى مؤتمر الإعلام وتفعيل المشاركة المجتمعية للشباب العرب، القاهرة، يونيو 2009، المنتدى العربي للإعلامي للبيئة والتنمية، 2009.
- Ayman Zohry, Migration Without Borders : North Africa as a Reserve of Cheap Labour for Europe, UNESCO, 2005

2- الصحف:

- جمال وهبي، الجزائر والمغرب من أكثر الدول التي تهاجر أدمغتها، مقال رأى، جريدة المساء، العدد 446، 25 فبراير 2008.

3- المواقع الإلكترونية:

- إبراهيم قويدر، فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى .. وقف هجرة العقول العربية، على رابط:

http://www.4shared.com/office/549ntA-B/_____-.html

- علي الطالقاني، هجرة الكفاءات ظاهرة عالمية، على رابط:

<http://www.annabaa.org/nbanews/69/042.htm>

- مشهور إبراهيم، هجرة الكفاءات وآثارها السياسية والاقتصادية على الدول النامية، الحوار المتمدن، العدد 2391، 2008/9/1، على رابط:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145749>

- مذكرة الأمانة العامة حول جوهر الأدمغة العربية وضع سياسة واضحة لاستيعاب الكفاءات العربية و الحد من هجرتها إلى الخارج، الاتحاد البرلماني العربي، مجلة البرلمان العربي، العام الثاني والعشرون، العدد 82، ديسمبر 2001، على رابط:
<http://www.arab-ipu.org/publications/journal/v82/memobrain.html>

- محمد عبد الله المنصوري، عبد العالي بوحويش الداخ، هجرة العقول العربية أسبابها وآثارها الاقتصادية، مؤسسة الفكر العربي،

<http://www.arabthought.org/>

- هدى بنت فهد المعجل، بتر العقول أو نزيف الأدمغة أو البيئة الطاردة للعقول، على رابط:

<http://www.al-jazirah.com/2012/20120613/ar8.htm>

- <http://www.alarabonline.org/index.asp?fname=%5C2012%5C05%5C0523%5C447.htm&dismode=x&ts=23-5-2012%2012:24:16>
- <http://www.algomhoriah.net/newsweekprint.php?sid=65562>

-
- <http://www.unesco.org/new/ar/unesco/>
 - <http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=22196>
 - <http://arabic.arabianbusiness.com/society/politics-economics/2007/sep/16/335/>
 - <http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=301014>